

## «نجمة».. رائعة كاتب ياسين الذي اعتبر الفرنسية غنيمة حرب

## رواية ملحمة تستشرف حرب الهويات القاتلة في الجزائر



## أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسية إنني لست فرنسيا

شديد يمارس ذاك التمزيق الذي هو أقرب إلى الحب المحرم. وهو ما أعاد المراقبون اكتشافه على خلفية ما يعرف بالخلفية السوداء في الجزائر حين اقتتل الإخوة الأعداء وسالت دماء كثيرة من أبناء البلاد بالحداد وأعاد الكثير من أبناء البلد التشكيك في صحة وحقيقة هويتهم بعد حمامات الدم.



الترجمة التي أنجزها الناقد والكاتب الجزائري السعيد بوطاجين بحرفية هائلة لم تفقد الرواية سحرها وشاعريتها



كاتب ياسين صاحب مسرحية «الجنة المطوقة» وملحمة «المأساة الخرساء» استشرى في «نجمة» مستقبل البلاد وحذر من ذاك الحب القاتل الذي يدعيه العشاق المخدوعون والأزواج المغتصون.

على أن كاتب ياسين «يؤسطر» محبوبته، لا يحاول إسباغ صفات القداسة عليها ولا تنزيها من الأخطاء والشوائب، بل تراه يذكر بعض صفاتها الأخرى، تلك التي تجعل منها أسطورة شخصية التي تختزل التقديس دون أن تكون مطهرة من التدنيس أيضا.

الجزائر بجميع مكوناتها، بعطائتها وجمالها وتنوعها، تكون النجمة التي يهيم بها عشاقها، ولا يقدرونها حق قدرها، لذلك يتخبطون في قواقع مقيدة، فتبتعد النجمة، وقد تنتقل من حضن إلى حضن، سواء من محتل إلى مستعمر، أو من مستعمر إلى مستبد. هكذا يكون تحذير ياسين بمثابة صرخة روائية مدوية في فضاء الواقع والتاريخ والمستقبل.

لكاتب ياسين في رواية «نجمة» فضل كبير على من جاء بعده من الروائيين والمسرحيين، وفي هذا الصدد يقول عبد الحميد حياطي «كاتب ياسين لقننا دروسا في المسرح. أخشى أن أخطئ في حق ياسين عند الحديث عنه، بكل تواضع أرى أنه شخصية عميقة للغاية، تثير في نفسك أسئلة كثيرة، وليس أي شخص يمكن الخوض في أعماله واسلوبه في تعاطي مواضيع الحياة».

ويضيف حياطي «لهذا السبب يتفرق الناس عند التطرق إلى حياة ياسين، فيبدو لفريق شخصية أدبية ومسرحية غامضة، فيما يتوصل آخرون إلى فك رموز أعماله وفهم أبعادها الاجتماعية والثقافية والفنية».

الروائي الجزائري واسيني الأعرج كتب عن الرواية قائلا «من يقرأ نجمة كاتب ياسين يقرأ تاريخا مرتبكا، مجروحا في عمقه ممزقا في أجزائه الحميمية. يتحول النص لديه فجأة إلى وسيلة حميمية لجمع التفاصيل والمرق والاشلاء.. إنه يجاهد لهوية جامعة قبل أن تتحول نجمة إلى هوية قاتلة».

يفترض من أول جملة في النص أن «نجمة» هي بطلة الرواية كما هو الحال في الأدب الكلاسيكي على غرار «أنا كارنينا» أو «مدام بوفاري»، لكنها في الواقع فضاء تتحرك فيه شخصيات منكسرة على نفسها ومنغصة في عالم الكحول والحشيش والضياع بسبب تعلقها بنجمة، الفتاة الجموح الغزال الذي لا يصاد.. وإن صيد مات.

يدعيه العشاق المخدوعون والأزواج المغتصون. أحبها وكتبها ياسين بغضب عارم والم

الطفلة الصغيرة.. في الثانية عشرة أخفت نهدبها المروجين كمسمارين، المنتفخين بمرارة الليمون البديري.. نجمة نرزة غنجا وندارة».

ويمضي كاتب ياسين متغزلا بنجمته في لغة تجمع بين الشهوانية والحب الجارف الذي ينزع نحو التوحد الروحي «نشر المناخ البحري على جلدها سمررة متحدة بسحنة داكنة تشيع ببريق فولاذي ظاهر مثل لباس حيواني أسمر ذهبي. للجيد بياض مسبكة حيث تتطرق الشمس إلى حد القلب والدم تحت الخدين الأزغبين، يتكلم بسرعة وبصوت عال قاضحا الغار النظر».

## لست فرنسيا

«اللغة الفرنسية غنيمة حرب» مقولة كاتب ياسين الشهيرة التي قرئت على أكثر من وجه فهي تحمل رأيا تفاضليا بالنسبة إلى من يعتبرها حقا مشروعا جاء بعد نضالات مريرة ضد الاستعمار، وهي خيار ثقافي بوليفيا حق قدرها بالنسبة إلى من يكتب بها فتمكنه من إيصال صوته إلى عدد كبير من القراء، وإن كان بعضهم ينتقد تلك الفُرسة التي مارسها فرنسا وجعلت الكتاب الجزائريين يغيبون عن العالم الأنجلوفوني الذي يعتبر أكثر اتساعا من نظيره الفرنكوفوني.

في هذا الصدد يقول الباحث الجزائري حسن تليلاني «إنه بالفعل أقسى أديب فضح الاستعمار في رمزية شفافه، فهو مثل ذلك المحارب الأسطوري الذي يسلب سلاح عدوه ليحاربه به قبل أن يقضي عليه، ففي حربه ضد الاستعمار الفرنسي جعل من اللغة الفرنسية غنيمة حرب يقارع بها هذه الأمومة الفرنسية الرعناء».

ومهما يكن من أمر فإن كاتب ياسين كان يدافع عن الفرنسية، يفخر بها ويقدرها حق قدرها، وقال يوما «أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسية إنني لست فرنسيا»، وذلك على عكس -ربما- مواطنه مالك حداد الذي سكت عن الكتابة لأنه لا يتقن العربية.

وبالعودة إلى الرواية فإن الناقد والدارسين يجمعون

وساحرة بالنسبة إلى من قرأها بلغتها الأولى رغم أن ياسين كان عند أول نشرها يعتليه خوف من أن تفقد الرواية روحها لا يتقن غيرها.

وعلى الرغم من ذلك فإن الترجمة التي أنجزها الناقد والكاتب الجزائري السعيد بوطاجين بحرفية هائلة لم تفقد

الرواية سحرها وشاعريتها. وحدث للمترجم أن لاحظ قاضيا تستحق انتباهها خصوصا من الأكاديميين والمتخصصين، كما ترجم له أربع مسرحيات: فلسطين المخدوعة، ملك الغرب، شبح حديقة مونسو، ومحمد خذ حقيبتك.

تظهر هذه الدقة في مثل هذا المقطع الذي يصف فيه المؤلف بطلته «ما كانت نجمة صغيرة كانت سمراء جدا، سوداء تقريبا، طبع قاس، أعصاب متوترة، هيكل صلب، قامه دقيقة، رجلان طويلتان تمنحانها أثناء الجري مظهر عربيات الخيل.. أية رحابة لوجه هذه

## الجزائر بجميع مكوناتها

في الإطار الفني يقسم ياسين روايته إلى عدة أقسام، وكل قسم إلى عدة فصول متفاوتة الطول. يبدو بعضها مكتوبا بطريقة مسرحية، حيث الجمل القصيرة المعبرة، والتتابع والتعاقب، وسرعة الانتقال والتبدل، في حين يحضر في بعضها الآخر اشتغال على السرد وتهجينه بالشعر، وبث المناجيات ذات الدلالات الواقعية والإشارات المنطقية في أكثر من اتجاه.

وفي هذا الصدد يقول حسين «الجزائر بجميع مكوناتها، بعطائتها وجمالها وتنوعها، تكون النجمة التي يهيم بها عشاقها ولا يقدرونها حق قدرها، فتبتعد النجمة، وقد تنتقل من حضن إلى حضن، سواء من محتل إلى مستعمر، أو من مستعمر إلى مستبد».

أمر آخر كان لا بد من الإشارة إليه وهو أن الكاتب العرب الذين قرأوا الرواية في نسخها المنقولة من الفرنسية قد اكتفوا بوضعها في خانة الأدب الجزائري المقاوم أسوة بغيرها من الكتابات ذات البعد الوثائقي أو التاريخي، في حين أن قيمتها الفنية شامخة بل

كاتب ياسين لم يكتب رواية، بل نسج أسطورة. فرواية «نجمة» طوعت كل أساليب الكتابة، ليتساءل القارئ في كل صفحة وسطر يقفز إليه هل ما أقرأه مسرح، أم شعر، أم هو أساطير الأولين؟ ورغم أن الرواية كتبت بالفرنسية إلا أنها لم تفقد عمقها الجزائري، لتؤكد ما قاله ياسين يوما: أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسية إنني لست فرنسيا.

حكيم مرزوقي  
كاتب تونسي



الروائي الجزائري كاتب ياسين (1929 - 1989) واحد من ضمن الشخصيات التاريخية التي اختارتها فرنسا هذا العام بالتنسيق مع رؤساء البلديات لإطلاق اسمائها على شوارع كبيرة أو مبان عامة.

وجاء اسم كاتب ياسين، إلى جانب مواطنيه الأمير عبدالقادر ومصالي الحاج، والمناضل في الحركة الوطنية والمفكر محمد أركون، وأسيا جبار، بحسب موقع «هافينغتون بوست» بالفرنسية، مما يعكس مكانة هذا الكاتب ومدى تأثيره في الثقافة الفرنسية. فمن هو هذا الرجل الذي ارتبط اسمه برواية «نجمة» التي عدت بحق أيقونة الروايات المتعلقة بالثورة الجزائرية، وما زالت تسيل الحبر منذ صدورها بالفرنسية عام 1956.

## المرأة المشتمة

ولد كاتب ياسين بدائرة زيغود يوسف ولاية قسنطينة في 6 أغسطس 1929. تردد على المدرسة القرآنية بسوق أهراس ثم التحق بالمدرسة الفرنسية عام 1945.

هيثم حسين

نجمة المرأة التي تأسر عشاقها ولا تسلم نفسها لأحد



حسن تليلاني

إنه أقوى أديب فضح الاستعمار بلغة رمزية شفافه



عبد الحميد حياطي

أخشى أن أخطئ في حق كاتب ياسين عند الحديث عنه

سجن وعمره لا يتجاوز 16 سنة، وكان لذلك بعد الأثر في نفسه وفي كتاباته. بعد تجربة السجن بعام واحد فقط نشر مجموعته الشعرية الأولى «مناجاة». دخل عالم الصحافة عام 1948 فنشر بجريدة «الجزائر الجمهورية» (الجي ريببليكان) التي أسسها رفقة اللبكي كامو، وبعد أن انضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري قام برحلة إلى الاتحاد السوفيتي ثم إلى فرنسا عام 1951. قبل وفاته تقلد عدة مناصب، منها منصب مدير المسرح بسبدي بلعباس. ونجا من محاولة اغتيال في تيزي وزو عام 1987.

قام بكتابه العديد من الأعمال المسرحية كمسرحية «الرجل ذو الحذاء المطاطي»، بالإضافة إلى الشعر مثل مجموعة «مناجاة» سنة 1946 و«أشعار الجزائر المضطهدة» و«فلسطين المخدوعة».

تعد رواية «نجمة» من أهم أعماله بلا منازع، بل ويعتبرها الناقد والدارسون «نجمة الأدب الجزائري» نظرا لمكانتها الأدبية والتاريخية كواحد من الأعمال المؤسسة للرواية الجزائرية التي تميزت بنفسها الملحمي وانفردت بخصوصيتها الفنية وتقنياتها السردية مما جعلها لا تشبه نظيرتها المصرية أو حتى الفرنسية وإن اشتركت في نفس اللغة.

تدور أحداث «نجمة» أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر وترصد في رمزية أدبية ومقاربة واقعية معاناة الجزائر خلال تلك الحقبة العصيبة ومصير أبنائها الذين تعلقوا بمصيرها، كل حسب موقعه وهو اجسه كما تسدل الإسقاطات التي أراها الكاتب من خلال قصة حب يكاد يكون مستحيلا بين الفتاة نجمة وعشاقها الذين تتشابك مصائرهم.

وهكذا تصبح الجزائر حقيقة مجسدة جاءت من صلب جزائري أب

